إعترافاتُ نبيٍّ

+ المطران مار [illegible]

رئيس الأساقفة الكلدان وتوابعه

للسريان في الموصل

٢٠١٤/٤/٢٢

إعترافاتُ نَبيٍّ

بين بؤسِ الواقع وشَجاعة الوجود

الأخ ياسر عطاالله
دير يسوع الفادي
قرەقوش ٢٠١٢

لوحـــة الغـــلاف: النبي، نحت بأزميل ب. كاركالو (متحف الفن الحديث، باريس ١٩٩١).
الرسوم التخطيطية: السيّدة رؤى فرج البناء
التنسيق والاخراج: رواء موسى پوسا

مقدِّمة

من الصُّعوبة أن نَكشِفَ ما في قُلوبِنا من أفكارٍ، لا بل أحيانًا نَحنُ لا نَعرِف ما هي أفكارُنا هذه المخفيّة عنّا في تضاعيفِ بَشريّتنا المليئةِ بالتّناقُضاتِ والتّفاعُلاتِ الإحيائيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة والدّينيّة والأخلاقيّة. جَميعُها تُشكِّل مع بعضها كُتلةً مُتناقِضةً لا نَعرِف أولَها من آخرِها. صَعبٌ أنْ نَعتَرِف بِما لَدينا كما هو، وصَعبٌ أن نَعتَرِف بِما لدى الآخرين! لكن، إعتِرافاتُ الإنسان الشّخصيّة أمرٌ مُثيرٌ للفضول والقلق. فُضولٌ أن نَعرِف ما لدى الآخر؛ وقلقٌ وخوفٌ بسبب ما لَديه من أشياءٍ مَخفيّة، قَد تَكونُ أسوء مِمَّا لدينا أو مِمّا لا نَستطيعُ فَهمَها أو توقعَها أو له أفضل مِمَّا عندنا ما لَم يكُن يَخطُر على بالنا البتّة.

"إعترافاتُ نَبيّ" حَقيقةٌ داخليّة يَكشفها نَبيٌّ للهِ. صَعبٌ أن نَفهمَ كيف يُفكِّر النَّبيّ ولِماذا يُفكِّر هَكذا، والأصعب أنْ يَكشِفَ نَبيٌّ خَلجات قَلبِه وعواطفِهِ، ما يُثيره وما يؤلِمه، ما يُفرِحه وما يُحزِنُه، وأسلوب الحوار بينه وبين الله وبينه وبين الناس وطبيعة العلاقة التي تربطه بالله والناس، لا بل حتّى بنفسه.

إعترافاتٌ سنقتَنع أنَّها لكُلِّ وقتٍ وزَمان، وخاصّةً لزمننا البائس هذا. قد تَعوّدنا أن نَسمع كلامًا جَميلاً ولَطيفًا مَليئًا بالمَحبّة

والتَّسامح والغُفران من "رِجال الدين"، مع أنّي لا أُحبّذ هذه التَّسمية، كلامًا لا نَسمعه في الشّوارع والمقاهي (الجيخانات)، بل في الكنائس والسَّهرات الإنجيليّة وفي المُحاضرات الدينيّة. إنّه عَمَلُ "رجُلِ الدين" عليه أنْ يَتَكَلّم هكذا. ولكن ماذا لو صارَ هذا الكلام كلامًا مُستنفَدًا، لا بل كَلامًا يَستَبِدُّ بنا كما هي شعارات "الثورات"، مع أنّه لا أحد يَعرِف لِماذا كانت تُسمّى ثورات، كثوراتِ البؤسِ العربيّ الحاليّة الّتي بَدأت بَتدميرِ بَلدِنا ونَفسياتِنا وحياتِنا وإنساننا تَحتَ مُسمّياتٍ بائِسة تَعيسة لا تَمتُّ للإنسانية بصلةٍ، فَشرُّها أكثر بكثير من خَيرها، إنّها لا تَقتُل الجسَدَ بل الرّوح أيضًا، إنَّها قُنبلةٌ ذريّة تُدمِّر الإنسان في حياتِه الّتي كما يَقول الكتاب لو كَثُرَت ما تَعَدَّت السّبعين (راجع: مز ٩٠/١٠).

"إعترافاتُ نَبيّ" لِماذا في هذا الزّمن؟ لأنَّها لِهذا الزّمن. صاحبُ هذه الإعترافات عاشَ ما نَعيشُه اليَوم قبلَ (٢٥٠٠ سنة)، إنّها تُعيدُ التّاريخَ ذاتَهُ لكن في زَمنٍ ومع أشخاصٍ آخرين هَمّهم الوحيد هو أنْ يَفعلوا الشّرّ، إنّها مِهنَتهم وليسَ شيئًا آخر. لِماذا في هذه المرحلة من تاريخ البشريّة؟ لأنّها المرحلة الحاسمة في تاريخ البشريّة، إنَّهم يُحارِبون لأنّهم سَئموا العالَم بدونِ حَرب، فهم أصحابُ حَرب، هُم مَن يؤسِّسونَها وهُم مَن يَبثّون دُخانَها ويُهيّئون كُلّ المُستلزَمات اللازمة حتّى الأشخاص ويُعلِّمونَهم من حيث لا يَعلَمون كيف سَيصلون بالعالَم إلى الحرب. نَحنُ سَئِمنا الحَرب وهُم سَئموا السّلام، لكنّهم

يُحاربون خارجَ بَيتهم، إنَّهم في غُرفِ بيوتنا وعلى أسِرّتنا وفي عُقولنا أيضًا. بَشرٌ يجعلونَ من عصرِهم عَصرَ "قلّة الحياء".

في هذا الكتاب نُقدِّمُ دراسةً وتأمُّلاً في إعترافاتِ النَّبيّ إرْمِيا، وهي نُصوصٌ مُتَميّزة تَكشِفُ عن خَلجات وأفكارِ وأحاسيسِ هذا النَّبيّ العَبقري والمُرهفِ الحسّ.

النَّبيّ ليس شخصًا يَتنبّأ بالمستقبل، كما تَعودنا أنْ نَفهَم، بل هو شخصٌ يَتَحَدّث باسم الله. هذا الشّخص يَرى كُلَّ شَيءٍ مِن خِلال نَظرة الله. عادةً الأنبياء يَكتَشفون كَلِمةَ الله هذهِ في وَقتٍ ومَكانٍ مُعيّنين، ويَختبرون الله، كما حَدَثَ مع أشَعْيا في زيارتِه إلى الهيكل أو في صلاة إرْمِيا المتواصلة أو من خلال حُبٍّ فاشلٍ عند هوشع. وأيضًا من خلال حَياتِهم الواقعيّة الّتي يَعيشونَها ضمن إطار سياسيّ وثقافيّ واجتماعيّ مُعيّن، يَكتشفون كلمة الله ويقرؤون فيها علامات الأزمنة. بالتالي كُلّ شيءٍ يُحدِّثهم عن الله، خُبرتُهم الحياتيّة وأيضًا وجودَهم الواقعيّ ضمن بيئةٍ مُعيّنة. وهكذا يَجدُ الأنبياء من خلالِ رموزٍ وآياتٍ وأحداثٍ سياسيّة واجتماعيّة مُعيّنة، ما يَقرؤونه ليتَنَبّأوا بكَلِمة الله، بمعنى ليتَكلّموا بكلمة الله أمامَ الشّعب وأمامَ الملك وللعالَم. يُعبّر الأنبياء عن أفكارهم بالكلام، ونَحن نُطلق عليها أقوالاً نبويّة، بمعنى هي تَصريحاتٌ يُدلى بها باسم الله، إرشاداتٌ، رواياتٌ، صلواتٌ، هي أيضًا حركاتٌ رمزيّة يَقوم بِها الأنبياء ليُعَبِّروا من

خلالِها عن كَلِمة الله.

اليوم، عالَمُنا بحاجة إلى أنبياء، أكثرَ من أي وقتٍ آخر، يَتصرّفونَ ويَحيونَ كالأنبياء. لكنّهم لن يَكونوا مَحبوبين أو مَقبولين بسهولة، وهذه هي خُصوصيّة النَّبيّ المُتميّزة. فإعترافات إرْمِيا، النَّبيّ المُتميّز، هي صُورةٌ لإعتِرافاتِ أنبياءَ آخرينَ على مُختلَفِ الأزمان والأجيال. لذا تَناولنا هذه الإعترافات بالتأمُّل لكي تَكون نورًا يُنيرُ مُسبقًا دَربَ الأنبياء الّذين يَختارُهم الله، ولكي نَقول من خلال هذهِ الإعترافات للعالَم مِن حَولِنا ولِذواتِنا ولكَنيسَتِنا، إنَّنا نُدرِك ما يواجهنا ونَفهَم ما نَعيش.

ومن أجلِ فَهمٍ أعمق لِهذه الإعترافات، الّتي لَم تَكُن خُبرةً خياليّة لِنَبيٍّ خارجَ الزّمن بل خُبرةٌ من صَميم التاريخ، عُدنا إلى الحقبة التاريخيّة الّتي عاشَ فيها إرْمِيا لِنفهَمَ من خلالِها لِماذا كانت هذهِ الإعترافات. وكيفَ عاشَ إرْمِيا في زَمنِ قلاقلٍ وخضّاتٍ سياسيّةٍ ودينيّةٍ كثيرة، وكيف تَعامَلَ مَعها. ثُمَّ حدَّدنا نُصوص الاعترافات وقدَّمنا شَرحًا فيها وعلَّقنا عليها. إنَّها تَفتحُ الطّريق أمامنا لِنفهَمَ حياتَنا وتاريخنا لنَعرِف كيفَ نَستقبل كَلِمةَ الله ونُصغي إليها، وكيفَ هو حالُ النَّبيّ في عالَمِهِ ومع إلَهِهِ ومع ذاتِهِ. وختَمناها بتأمُّلٍ في الحياة الرُّهبانيّة في ضَوءِ هذهِ الاعترافات. وقد أرفقنا الكتاب بتَخطيطات جَميلة مُعبِّرة، خَطَّتها أنامل السيّدة رؤى فرج البنّاء (أم نور)، فشكرًا

جزيلاً لها.

أتَمنّى أن تَفتح هذه الإعترافات طَريقًا للتأمُّلِ أمامَ الكثيرِ مِـــنَ النّاس المُتسائلينَ كإرْمِيا، وبِها في ذات الوقت يَجدونَ الإجابات، إنْ كان من إجاباتٍ، على تساؤلاتِنا البشريّة والحياتيّة.

ولله المجد

الأخ ياسر عطالله
دير يسوع الفادي
جمعة المعترفين ١٣ نيسان ٢٠١٢